هل أنت
من أهل الغفلة ؟

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى الرزَّاق ذي القوة المتين، والمنَّان صاحب الفضل المبين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه أعلام الدين.

أخي المسلم: الغفلة! ذلك الداء الأكبر.. والخطر الأحمر! كم أهلكت من خلائق.. وكم أفسدت من قلوب وصدَّت عن حقائق..

وصف الله تعالى بها أعداءه الكافرين.. والعصاة الظالمين.. وأهل ناره الخاسرين..

فقال الله تعالى: **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** [الأنبياء: 97].

وقال تعالى: **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** [الأعراف: 179].

الغفلة سلطان إبليس على القلوب..

وفرحته التي يجدها من الخلق..

أخي المسـلم: لقد عمَّت نـار الغفلـة.. حـتى أصـبح أكـثرهم يعيش عيش البهـائم! وقليل أولئك الذين عرفوا الغاية التي خُلقوا من أجلهـا.. فسـعوا إلى تحقيقهـا؛ فسـلموا من شرور الغفلة..

فيا من أردت السَّـعادة في الـدنيا والآخـرة؛ هـذه وقفة أخـرى من دروس المحاسـبة.. وعـروة من عُـرى هـذه السلسلة: (سلسلة المحاسبة).

ونحن وإيَّاك على متن سـفينة النُّصْـح.. نعـبر ذلك البحر الفسـيح؛ بحر الإسـلام.. الـدين الحـق.. عسى أن نصل إلى دار النَّجاة.. ومنزل أولياء الله ألأبدي؛ (الجنَّة!).

فقف معي أخي.. وحاسب نفسـك: هل أنت من أهل الغفلة؟

قليلٌ أولئك الـذين وقفـوا هـذه الوقفـة.. وحاسبوها.. وسائلوها.. ليعلمـوا هل هم من أهل الغفلة؟!

أخي المسلم: لقد استفحل داء الغفلـة.. وكُـثر أصـحابه في كل مجمع وفي كل مكان!

فـترى الأكـثرين سُـكارى.. لا يـدرون إلى

أين يسيرون.. حيارى.. تائهين!

نَسُوا ماذا بعد الحياة؟! نَسُوا الأجـل! نَسُــوا ســاعة الرَّحيــل! نَسُــوا الــدَّار الأخرى! نَسُوا الموت وسـكراته! نَسُـوا القــبر وضــمَّته وأهوالــه! نَسُــوا هــول المحشر! نَسُوا الصراط وكلاليبه! نَسُوا النَّار وفظائعها!

يا أيُّهَذَا الذي قد غرَّهُ
ودون ما يأملُ التَّنغيصُ
ألا ترى إنَّما الدُّنيا
كمنزلِ الرَّكْبِ دارًا ثُمَّةً
تظلُّ تُفزعُ في الرُّوعات
فما يسوغُ له لينٌ ولا
المرءُ يشقى بما يسعى
والقبرُ وارثُ ما يسعى

عن الحسن البصــري في قوله تعــالى: ﴿**الشَّــيْطَانُ سَــوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد: 25]. قال: (زيَّن لهم الخطايا، ومـدَّ لهم في الأمل).

لقد انشـــغل الخلق عن الطاعـــات.. وأعرضوا عن فعل الصالحات.. وأقبلوا على دار الغرور.. ومستوطن الشرور!

فـترى هـذا مشـغولاً بتجارتـه.. وتكثـير أمواله؛ من حلال أو حرام!

وهذا مشغول بزراعته في ليله ونهاره!

وهذا مشـغول بحسـاب رصـيده الفـاني! فهو في ليله ونهـاره؛ يحسب في أموالـه.. وإذا نـام؛ كـانت أحلامه مواصـلة لـذلك الحساب!!

وآخر عكف على الشـهوات.. فهو مشغول بتلبية شهواته البهيمية!!

وآخر غـارق في أنـواع من المعاصـي! يستفتح يومه بمعصية.. ويختمه بمعصية!!

وآخر لا يـدري لم خلـق؟! ولا مـاذا يجب عليه؟!

خلق سـيطرت عليهم الغفلـة.. وكسـتهم من ثيابها ألوانًا!

قال نصر بن محمد السمرقندي: (ويقال: النـاس يصـبحون على ثلاثة أصـناف: صـنف في طلب المـال، وصـنف في طلب الإثم، وصـنف في طلب الطريـق. فأما من أصـبح في طلب المال؛ فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى، وإن أكثر المال. ومن أصـبح في طلب الإثم؛ لحقه الهوان والإثم. ومن أصبح في طلب الطريـق؛ آتـاه الله تعـالى الـرزق

والطريق!).

فـانظر أخي المسـلم؛ من أي الأصـناف أنت؟!

وإيَّاك أن تتكل على عمل صـــــالح قليل عملتــــه.. فتظن نفسك أنك بعيد عن أهل الغفلــة! بل الــواجب عليك أن تتهم نفسك دائمًا.. وتنظر إليها بعين التقصير..

فـإن ذلك من علامـات النجـاة.. فهـاهم الصـالحون؛ يحاسـبون أنفسـهم.. ويتهمونها بالغفلة..

كان عـون بن عبد الله رحمه الله يقـول: (ويحي! كيف أغفل عن نفســـــي، وملك المـــوت ليس بغافل عـــني؟! ويحي! كيف أتكل على طول الأمل، والأجل يطلبني؟!).

وكـــان محمد بن النضر الحـــارثي رحمه الله يقــول: (إلى الله أشــكو طــول أملي، وعند الله أحتسب عظيم غفلتي).

فيا أيها الغافل.. ويـا أيهـا اللاَّهي السَّاهي.. تذكَّر أنَّك لن يُغفـل عنـك! فبـادر إلى العمـل الصـالح؛ قبـل أن يُحال بينك وبينه!

جهِولٌ ليس تنهاهُ
ولا تلقاهُ إلاَّ وهو ساهي

يُسرُّ بيومِهِ لعبًا ولهوًا
ولا يدري وفي غدِهِ

قال سلمان الفارسي : (ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمِّل الدنيا والموت يطلبه! وغافل ليس يُغْفل عنه! وضاحكٌ مِلءْ فيه ولا يدري أساخط ربُّ العالمين عليه أم راضٍ؟!)

أخي المسلم: أسوأ ما في الغفلة أنها تبعد صاحبها عن الله تعالى! فالغافلون بعيدون عن الله تعالى.. شغلتهم الدنيا بزهرتها الفانية!

إذا ذُكر الله تعالى.. لم يكن الغافل من الذاكرين!

وإذا قرئ القرآن.. لم يكن الغافل من التالين!

وإذا صلى الناس لرب العالمين.. لم يكن الغافل من المصلين!

وإذا بادر أهل الطاعة إلى الطاعات.. لم يكن الغافل من المبادرين!

لذلك كانت الغفلة سببًا في البعد عن الله تعالى!

قال ابن القيم: (على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بُعْده عن الله).

وقال أيضًا: (إنَّ الغافل بينه وبين الله عزَّ وجلَّ وحشة، لا تزول إلا بالذكر).

فهل حاسبت نفسك أخي المسلم: هل أنت من الذاكرين لله تعالى؟! هل أنت من المنشغلين بالطاعات؟

كثير أولئك الذين انشغلوا بجمع الدنيا.. وضاعوا في غمار الحياة! فأضاعوا الصلوات.. وغفلوا عن ذكر الله.. وأعرضوا عن الطاعات..

أخي المسلم: الغفلة طريق ذو شرور.. إذا سلكه سالك حتى نهايته؛ أوصله إلى النار!

وإليك علامات هذا الطريق؛ حتى تتقيه.. وحتى تحاسب نفسك: هل أنت من سالكيه؟!

أولاً: حب الدنيا: حب الدنيا ذلك الداء الخطير؛ الذي أهلك الكثيرين.. وما زال يهلك الكثيرين؛ ممن انشغلوا بالدنيا!

قال رسول الله ﷺ: «**إنما أهلك من قبلكم الدينار والدرهم، وهما مُهْلكاكُمْ**» [رواه البزار/ صحيح الترغيب للألباني: 3258].

ثانيًا: طول الأمل: طول الأمل شغل

الكثـــيرين عن تـــذكُّر المـــوت والقـــبر والحساب! فترى صاحب الأمل يمنِّي نفسه بالأماني العريضة.. كأنه سيخلد في الدنيا!

قــال الحسن البصــري رحمه اللــه: (ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل!).

وقــال بعض الحكمــاء: (الأمل ســلطان الشيطان على قلوب الغافلين).

طــول الأمل أكــبر داعٍ إلى الغفلــة.. إذ يتولَّد عنه؛ الكسل عن الطاعـات، والوقـوع في المعاصي، وتسويف التوبـة، والانشـغال بالدنيا، وقسوة القلب!

ثالثًا المعاصـــــي: المعاصي تصد عن الطاعـات، وخاصة إذا كـثرت، مع الإصـرار وعــدم الاســتغفار، فــإن ذلك من أســباب الغفلة..

قــال ابن القيم: (فمما ينبغي أن يُعلم أن الذنوب والمعاصي؛ تضر ولا بد، وأن ضررها في القلب كضرر السُّموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الــدنيا والآخـــــرة شر وداء إلاَّ ســـببه الـــذنوب والمعاصي؟!).

أخي المسلم: تلك هي أهم العلامات في طريق الغفلة.. وتحت تلك العلامـات تنـدرج

أشـــياء كثـــيرة.. فضع نفسك في مـــيزان المحاســبة؛ فتأمل في حالــك: هل أنت من الواقعين في شيء من تلك العلامات؟

ولتعلم أيها المحاسب لنفســـــه؛ أن تلك العلامــــات تتولَّد منها شـــرور يقع فيها كل غافل..

* **منها: التهاون بالذنب:** فإنَّ الغافل غـارق في غفلتـه.. غـير ملتفت إلى فعلـه؛ فـتراه مستصـغرًا لذنوبـه.. غـير خـائف من عقوبة الله تعالى..

قيل لبعض الحكمـــاء: من أشد النـــاس اغــترارًا؟! فقــال: أشــدهم تهاونًا بالــذنب! فقيل له: علام تبكي؟! فقال: على ســاعات الــذنوب! قيــل: علام تأســف؟ قــال: على ساعات الغفلة!

* **ومنها تسـويف التوبـة:** وهو حـال كثـــير من الغـــافلين؛ يتعلَّق أحـــدهم دائمًا بالأمــاني؛ فتجــده يقــول: ســوف أتــوب.. سأتوب.. وهو غارق في اللهو والمعاصي!

قال أنس بن مالك : (التسويف جند من جنود إبليس عظيم، طالما خدع به!).

* **ومنها قسوة القلب:** الغفلة تورث

صـاحبها قسـوة في القلب، فـتراه لا يتـأثر بموعظـة.. ولا ينفعه تعليم! وهو حـال كثـير من الغافلين.

جاءت امـرأة إلى عائشة رضي الله عنها تشـكو إليها قسـوة قلبهـا. فقـالت لهـا: «أكـثري من ذكر المـوت يـرق قلبـك». ففعلت المـرأة ذلـك؛ فـرق قلبهـا، فجـاءت تشكر عائشة رضي الله عنها.

أخي المسلم: لا تهملنَّ محاسبة نفسك.. وقلِّب صـحيفتك؛ فـانظر مـاذا سـجلت فيها من صـالح الأعمـال.. فإنَّك إن غفلت عن ذلك كنت في زمرة الغافلين!

فبادر أخي.. قبل أن يبادرك الموت!

وقد قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ عشر آيـات في ليلـة؛ لم يُكتب من الغافلين**» [رواه الحاكم/ صحيح الـترغيب والترهيب: 1436].

وقـال ﷺ: «**مَثَـلُ الـذي يـذكر ربَّه، والـذي لا يـذكر ربَّه، مَثَـلُ الحي والميت**» [رواه البخاري].

وقـال ﷺ: «**من حافظ على هـؤلاء الصـلوات المكتوبـات، لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية**

كُتب من القـــانتين» [رواه ابن خزيمة والحـاكم – واللفظ لـه/ صـحيح الـترغيب: 1437].

أخي المســـلم: ها هي الأيـــام تنقضي ســـريعًا.. وفي كل يـــوم يُفتح لك ديـــوان يُسجَّل فيه عملك..

فاحـــذر من الغفلة عن ذلـــك.. واجعل أيامك مزرعة للآخرة؛ تجد بركاتها غدًا..

قـال بعض الحكمـاء: (إذا أصـبح الرجل ينبغي أن ينـوي أربعة أشـياء: أولهـا: أداء ما فـرض الله عليـه. والثـاني: اجتنـاب ما نهى الله عنه.. والثـالث: إنصـاف من كـان بينهم وبينه معاملـة. والرابـع: إصـلاح ما بينه وبين خصمائه. فإذا أصبح على هذه النيـات؛ أرجو أن يكون من الصالحين المفلحين).

فاعمـل أيهـا العاقـل.. قبـل نـزول الآجال.. وانقطاع الآمال..

إنَّا لنفرحُ بالأيامِ
وكِلُّ يوم مضى يُدْنِي منَ
فاعملْ لنفسَكَ قبل
فإنَّما الربحُ والخُسْرانُ

فيا ملتمسًـــا لســـبيل فلاحـــه.. حاسب نفسك اليـــوم.. وعـــالج أدواءهـــا؛ قبل أن

تهلك!

وإن أردت العلاج القاتل لجرثوم الغفلة.. فإليك هـذه الوصـفة؛ وهي خـير علاج لهـذا الداء..

* **الإكثـــار من فعل الطاعـــات**: الطاعـات مضـادٌّ قـوي للغفلـة؛ لأن الطاعة تقــرِّب من الله تعــالى.. كما أنَّ المعصــية تبعد عن الله تعـــــالى.. فكلَّما كثُــــــرت الطاعات؛ ازداد العبد قُرْبًا من الله تعالى..

لــذلك قــال رســول الله ﷺ: «**لينتهينَّ أقـــــوامٌ عن وَدْعِهِمُ الجُمعـــــات أو ليختمن الله على قلــــــــوبهم، ثم ليكُونُنَّ من الغـافلين**!» [رواه مسـلم]. ومعنى وَدْعِهِمْ: تركهم.

* **الإكثـار من ذكر الله تعـالى:** ذكر الله تعالى حياة للقلـوب.. وغيث للنفـوس.. فكــثرة ذكــرك الله تعــالى جلاء لقلبك من أدران الغفلة..

قــال أبو محمد بن علي الزاهــد: (خرجنا في جنــــازة بالكوفــــة، وخــــرج فيها داود الطــائي، فانتبــذ؛ فقعد ناحية وهي تُــدفن، فجئت فقعـدت قريبًا منه فتكلم فقــال: من

خاف الوعيد؛ قَصُر عليه البعيد، ومن طال أمله؛ ضَعُف عمله، وكلُّ ما هو آت قريب!).

* **تذكير القبر:** لقب منزل الوَحْشَة.. وبيت الوحدة! أهواله فظيعة.. ولحظاته شديدة! ماذا أعددت له؟!

تذكر تلك الحفرة.. والتي لا ينجيك من أهوالها إلا العمل الصالح!

هذا الربيع بن خثيم رحمه الله حفر في داره قبرًا! فكان إذا وجد في قلبه قساوة؛ دخل فيه، فاضطجع فيه! ومكث ساعة ثم قال: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾.

ثم يقول: يا ربيع قد أرجعت، فاعمل الآن قبل أن لا تُرجع!

أخي: هكذا كان الصالحون يحاسبون أنفسهم.. ويذكِّرونها بذلك اليوم الشديد.. فتدبر.. واتعظ.. ولا تكن من الغافلين..

نُودي بصَوْت	**ما أقرب الحيِّ**
كأنَّ أهل الغَيِّ	**قد أخذُوا أمْنًا**
كم مُصْبِحٍ يعْمُرُ	**لم يُمسِ إلاَّ**

ولتعلم أيها العاقل؛ أن الغفلة سبب في

سوء الخاتمة.. أعاذني الله وإياك من سـوء الخواتم..

كان ملك الموت في القـديم؛ يـأتي على صورة رجل؛ فيقبض الأرواح..

فهذا واحد من الغافلين.. جمع من المال أصـنافًا، وابتـنى قصـرًا وجعل عليه بـابين وثيقين، وجمع عليه حرسًـا من غلمانـه، ثم جمع أهلـه، وصـنع لهم طعامًـا، وقعد على سـريره، ورفع إحـدى رجليه على الأخـرى، وهم يـأكلون، فلما فرغـوا قـال: يا نفس انعمي لسنين، قد جمعت لك ما يكفيك!

فلم يفـرغ من كلامـه؛ حـتى أقبل على قصـره رجل رث الثيـاب، في عنقه مخلاة، فقـرع بـاب القصر قرعًا شـديدًا! ففـزع الغـني، وهو على فراشـه. فـوثب الحـرس والغلمان إلى الرجل. وقالوا له: ما شأنك؟! فقـال: ادعـوا إليَّ مـولاكم! فقـالوا: وإلى مثلك يخـرج مولانـا؟! فقـال: نعم فـأخبروه بذلك! فقال الغني: هلاَّ فعلتم به وفعلتم؟!

فقرع الرجل الباب قرعة أشد من المرَّة الأولي! فوثب إليه الحرس! فقـال: أخـبروه أني ملك الموت!!

فلما سمعوه، أُلقي عليهم الـرُّعب، ووقع

على مولاهم الذل والتخشُّع!

فقـال: قولـوا له قـولاً لينًـا، وقولـوا: هل تأخذ به أحدًا؟!

فدخل عليـه.. وقـال: اصـنع في مالك ما أنت صـانع، فـإني لست بخـارج منها حـتى أُخرج روحك!.. فأمر بمالـه، حـتى وضع بين يديـه.. فقـال حين رآه: لعنك الله من مـال! أنت شـغلتني عن عبـادة ربي، ومنعتـني أن أتخلَّى لربي.

فأنطق الله المال.. فقـال: لم تسـبني؟! وقد كنت تـدخل على السـلاطين بي، ويـرد المتقي عن بــابهم، وكنت تنكح المتنعمــات بي، وتجلس مجالس الملـوك بي، وتنفقـني في ســـبيل الشـــر، فلا أمتنع منـــك، ولو أنفقتني في سـبيل الخـير نفعتـك! خلقت يا ابن آدم من تـراب، فمنطلق بــبر، ومنطلق بإثم! ثم قبض ملك الموت روحه.. فسقط!

أخي المسـلم: تيقَّظ.. وحاسب نفسـك.. فـــإنَّ المـــوت وراء الجميـــع.. والقـــبر هو المـنزل؛ فـإن قـدَّمت عملاً صـالحًا؛ كـان قـــبرك روضة ونعيمًـــا.. وإن كنت من أهل الغفلة؛ كان قبرك شقاءً ونيرانًا!

جعلـــني الله تعـــالى وإيـــاك من أهل

طاعته.. وجنَّبني وإياك سبيل الغافلين..
والحمد لله تعــالى.. والصــلاة والســلام على نبينا محمد وآله والأصحاب..

* * * *